وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ

عبد الباقي يوسف

abdalbakiuosf@gmail.com

يقول الله عز وجل: [**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**]سورةالأعراف،الآية٥٨.

[**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ**]، الطيّبون الذين يعيشون في بلدٍ، فيتطيَّب البَلَدُ بِطِيبهم، ويصبح طيباً، والإنسان الطيّب حيثما تَواجَد، تطيَّب الناس من طيبه، فإن كان في بيت متواضع، ترك الناس قصورهم كي يزوروه، لأنهم يستشعرون بالراحة والسَكينة والنقاء، فيتطيّبون بالتقرّب إليه، والحديث معه. فالإنسان الطيّب هو خير طبيب نفسي لأولئك الذين فَتَكَت بهم أوبئة الحياة المادّية. فالطيّب هو في الوقت عينه طبيب للنفس، يكون قد طَيَب نفسه أولاً، فأصبح طيباً، ثم إن بعض الناس يشعرون بالراحة والتنفيس عن الكَرب، والتفريج عن الهَم، وهم ينظرون إليه، أو يُجالسونه، أو يتحدّثون إليه.. فتبيّن لك الآية بأن هؤلاء قد خَصّهم الله تعالى برزق طَيَب مُبارَك، وهذا الرزق المُبارَك، ليس بوسع أحد - كائناً مَن كان - أن يمسكه عنهم.

[**وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً**]. جاء العطف في [**وَالَّذِي**]، ليبيِّن بأن الطِيبَ إن خَرَجَ عن طِيبه، أصبح خبيثاً، وبالتالي ما يصيب الخبيث، سيصيبه كذلك، فعليك أن تكون متمسّكاً بالطيب، ومداوماً عليه، فكما أنك تريد أن يديم الله في بركته عليك، فعليك أن تلبث مداوماً على الطيب، وتسعى إلى التقدّم فيه.

وجاءت كلمة [**الطَّيِّبُ**] شاملة كل ما هو طيِّب، فإن كنتَ كريماً، أكرمك الله بأكثر مِمّا أكرمتَ به، وإن كنتَ عفوّاً، عفا الله عنك بأكثر مِمَا عفوتَ به.

[**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**]. هكذا جاء الحسم الإلهي في هذه المسألة قولاً

فصلاً واحداً، وهو عهد من الله للإنسان. [**وَ**]في الجانب الآخر: [**الَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً**].

النَكَد هو المنزوع البَرَكة، الذي يفتقد إلى مسك الطيب، لا يستمتع الإنسان بـه. ولا يقتصر النَكَد في الطعام، فقد يكون هذا الشخص الخبيث في بلـد طيـب، أو يُـدعى إلى وليمة لتناول الطعام في بيت شخص طيـب، لـبعض عوامـل القرابـة، أو الجـوار، أو مـا شابه، فالعَطَب سيكون في معدته، التي لا يشاء الله تعـالى لهـا أن تهضـم طعامـاً طيبـاً بيسر، أخرَجَه للطيبين، ثم إنه لايتلذّذ بتناول الطعام، بـل يلتهمـه كـما تلـتهم الـدواب العلف، فإذن عاقبة ذاك الطعام لن تكون محمودة بالنسـبة للشـخص الخبيـث الـذي تناوله، بل ينكّد عليه يومه، حيث تتعسّر معدته بهضمه، فيبقى يعاني اضطرابات سوء الهضم، حتى تخرج آثار ذاك الطعام الطيـب مـن بَدَنـه الخبيـث. ونقـيض ذلـك، فـإن الطيّب يسوق الله رزقه الطيّب المُبارَك حتى لو حلّ النَكَـدُ عـلى البلـد كلـه، فيُسـتثنى الطيّبون من ذلك، فهو عهد الله في قول حاسم واحد: [**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**].. فلا شيء يمكن له أن يحـول بـين إيصـال هـذا الـرزق الطيّـب إلى ذاك الشـخص الطيّب، حتى لو قذفت به الظروف إلى خيمة في بقعة أرض مهجـورة، في حـين إن ذاك الخبيث حتى لو كان في قصر، وكل ألـوان الطعـام والشــراب متاحـة لـه، فإنهـا تكـون [**نَكِداً**]عليه، فلا يستطيع أن يتناول قطعة حَلوى، لأن نسبة السكر المرتفعة في دمـه لا تسمح له بذلك. ولا يستطيع أن يستمتع بتناول الأطعمة الدسمة، لأن نسـبة الشـحوم الثلاثية والدهون لا تسمح له بـذلك. ولا يسـتطيع أن يـنعم بالمكيّفـات، سـواء في حـرّ الصيف، أو برد الشتاء، لأن التهاب قصبات المجاري التنفسـية لا يسـمح لـه بـذلك. ولا يستطيع أن يستمتع بنوم عميق، لأن دورته الدموية المضطربة تفرض عليـه أن يـنهض ويمشي بضع خطوات، وإذا تجاوز تمدّده في الفراش أربع ساعات، فـإن ذلـك يجعلـه في خطر وهو نائم. وهو منصوح من ضمن نصائح الأطباء بـأن يتجنّـب الضـحك بطلاقـة، لأن الانفعالات، السلبية أو الإيجابية، قد تـؤدّي إلى مـا لا يُحمَـد عُقبـاه بسـبب بعـض الاضطرابات في جملته العصبية. وإلى ما شابه بما ينكّد على هذا الخبيث كـل مقوّمـات حياته، رغم كل ما تبدر عليه من مظاهر رَغَد العَيش.

[**كَذَلِكَ نُصَـرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**]. فأمام هذه الحقيقة، يزداد الشاكرون شكراً لله، ويتقدّمون في مراتب الطيب، ويتجنّبون مواضع الخبث ❐